معالم الطائفة المنصورة

في الأرض المقدسة (فلسطين)

وطرق الإلتحاق بها

هيئة الأرض المقدسة

رؤية واعية... لأرض واعدة

كتبه ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العايش الأعمدة

معالم الطائفة المنصورة

في الأرض المقدسة (فلسطين)

وطرق الإلتحاق بها

كتبه ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العايش الأعمدة

2023

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معالم الطائفة المنصورة
في الأرض المقدسة
«فلسطين»
وطرق الالتحاق بها

كتبه / ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العايش الآعمة



هيئة الأرض المقدسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

حسابات هيئة الأرض المقدسة على وسائل التواصل الإجتماعي

holylandd48

holyland_48

+905318366657

holyland_48

pholyland.com

holy0land@gmail.com

هيئة الأرض المقدسة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة



إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحمَدهُ، وَنَسْتعينُهُ، وَنستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شرُورِ أَنفُسِنَا، وسَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهدُ أنَ مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3]، أمَّا بَعدُ:

فأبعثُ حديثي في هذه الرسالة المختصرة والعاجلة إلى أفراد الطائفة المنصورة وجماعاتها، ولكل من سَما بنفسه ليكون رائدًا من رُوَّاد بيت المقدس وأكنافه، ومن حثَّ السيرَ ليكون حلقةً في سلسلة النصر والتحرير

(١) سورة آل عمران: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: (١).
(٣) سورة الأحزاب: (٧٠- ٧١).

والخلافة في بيت المقدس، ولكل من أراد أن يلتحق بجند عيسى عليه السلام والمهدي في ذاك الزمان لمواجهة مسيح الضلالة رمزِ اليهود، أكتبُ لكل من أراد أن يكون -أو من نسله- ذاك المسلم الذي سيدخل المسجد فاتحًا له، متبِّرًا يهود، مسيئًا وجوهَهم، أو ذاك الذي يناديه الحجرُ أو الشجر في آخر الزمان ليقتل اليهودي الذي تَوارى خلفه، إلى من سَمَتْ نفسُه ليكون في قوافل هؤلاء الموفَّقين المُسددين، يقتفي أثرهم، ويحذو حذوهم، إلى هؤلاء جميعًا أقول:

إن الواجب المَنوط برُوَّاد بيت المقدس يحتاج إلى كثير من التأمُّل والاستبصار، وأن نفهم عجلة الزمان في الأرض المقدسة وَفق سُننها الكونية والشرعية التي قضاها اللَّه عز وجل في كتابه، وسنة نبيه المُجْتبى صلى الله عليه وسلم.

هنا الطائفةُ المنصورة، صفاتُها، ومحطاتُ مسيرتها الطويلة على الأرض المقدسة، فإنه لمن دواعي السرور، وعظيم الشرف أن نكون على طريقة وطريق هذه الكوكبة، وضمن فريقها، والموفَّقين الذين كانوا سببًا في صناعة رُوَّادها.

إن القارئ لهذه الصفحات يُدركُ تمام الإدراك عبثيَّةَ كثير مما يقوم به البعض-ممن يحسبون أنهم يحسِنون صنعًا- في نصرة الأرض المقدسة، وظنّهم الذي في غير مَحِلِّهِ؛ أنَّ ما يقومون به سبب في النصر والتحرير! ويعلمُ أنه تنكُّبٌ للطريق النبوي الصحيح للنصر والتمكين، أو لنيل الشَّهادة في سبيل اللَّه على مراد اللَّه رب العالمين، ستدرك أخي الكريم بعد قراءة هذه الصفحات أن ما يقوم به الكثيرون ممن تَزعَّموا وَزَعموا أنهم على طَريق مُقارعة اليهود سالكون، هم فيه واهمون واهمون واهمون، وعن الطريق والطَّريقة متنكِّبون منحرفون، وأنهم بأرواح الأصحاب عابثون، وللأموال

مُضيِّعون، وللأوقات مُهدِّرون.

فليس الطريق إلى تحرير فلسطين ونصرتها بصناعة جيل رِخْوٍ متعلقٍ بالشعارات الخاوية الجوفاء، ولا بالرُّكون إلى المناوِئين لعقيدة أهل السنة والجماعة المُعْرِضين عن منهج النبي ﷺ الشاتمين الشانِئين لزوجه وخِيرة أصحابه رضوان اللَّه عليهم أجمعين، ولا بتحشيد الناس وغَوغائهم على غير ما يُرضي اللَّه جلَّ في عُلاه بِحُجَّة نصرة فلسطين؛ بإقامة حفلات الفُلْكُلور المصاحب للمعازف المحرمة والنساء المتراقصات المتكشِّفات المختلطات بالرجال، ظنًّا منهم أن في ذلك نصرةً ودعمًا لفلسطين وأهلها، بل فيه غضبٌ لربِّ العالمين، وبُعدٌ عن نهج الصالحين، والأبطال المجاهدين، وكما قيل: «نحن قومٌ نقاتِل عدوَّنا بأعمالنا»، فما يصعَد عند ربِّنا ينزل علينا، والأرض المقدسة لا تُقدِّس أَحدًا، وكل منا مطالب أن يُقدِّس عمله، وأن يتجنب ما يغضب الربَّ، ويستجلِب العقوبة ويستعجلها.

لا أقول هذا لحظِّ نفسي ولا حقدًا على أحد، فإني واللَّه لهذا الخُلُق لَمبغضٌ، لكني واللَّه عليهم وعلى أبناء صَحْوتنا وجيلنا ومؤسساتنا لَمُشفقٌ، وللوقت والجُهد والمال لَمُستدرِكٌ، وفي توحيد البوصلة ضدَّ عدوِّنا لَراغبٌ ومُعجِّلٌ.

لماذا الأرض المقدسة «فلسطين»؟

لأنها اختيار ربَّانيٌّ، وعُنوان مكانيٌّ للطائفة المنصورة، إليها يَتَداعَون، وفيها يجتمعون، وعليها يَقْتُلُ عيسى عليه السلام عُنوانُ الحق ورمزُهُ المسيحَ الدَّجال عُنوان الباطل وأهلَهُ، ويسبق خروجَه علاماتٌ وأماراتٌ تكون في فلسطين تشير إلى قُرب خروجه، ومنها: عدم إثمار نخل بَيْسان، وغيرها من أمارات، وفيها تلتقي البشرية وتُجمع آخرَ الزمان، ومنها تُحشر إلى عَرَصَات

الآخرة، وعندها تلتقي اللحظات الأخيرة من عُمر الأرض مع اللحظات الأولى من حياة الآخرة، وعلى أرضها مشروع التَّصفية الأبديَّة لكل يهودي على وجه الأرض؛ حينما يُنطِق اللَّه كلَّ شيء وِشايَةً بوجود يهودي عنده وخلفه، وفيها تكون آخر خلافةٍ وحكومةٍ على منهاج النبوة في الأرض.

لكن مع كل هذا وذاك لم يكن مجرد الانتساب إليها، أو حمل جنسيتها، أو استيطانها؛ سبب الشرف، دونما نيَّة صادقة في نَيل رضا الربِّ ﷻ، وعمل دؤوب نقتفي فيه كتاب اللَّه تعالى، وسنة النبي ﷺ، فما قيمة عمل وجُهد وجهاد من أجل فلسطين، لكن من غير صلاةٍ أو عملٍ بسنة النبي ﷺ، وائتمارٍ بمعروف أو نهيٍ عن منكر؟ فمِن ذلك واللَّه حذَّر النبي ﷺ فقال: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1]، فالاعتمادُ على شرف النسب والحسب، والتفاخرُ بالآباء والأجداد دونما عمل لا يُغني من الحق شيئًا، وهو عمل خِداجٌ.

فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنهما يقول: هلمَّ إلى الأرض المقدَّسة، فكتب إليه سلمانَ: إن الأرض لا تُقدِّسُ أحدًا، وإنما يُقدِّس الرجلَ عملُه[2].

إن التَّغنِّي بحُبِّ فلسطين بعيدًا عن أيِّ معانٍ إيمانية قائمةٍ على الكتاب والسنة؛ يتحول تلقائيًّا إلى عنصرية مَقيتة مُختزلة، وقومية مرفوضة، تُفقِد القضية رُوحها وبريقها، وتُنفِّر جمهور المسلمين في العالم عنها.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم: ٢٦٩٩ من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مالك، في الموطأ، برقم: ٢٢٣٢، وأحمد، في الزهد، برقم: ٨٤٢.

الأرض المقدسة في المصطلح القرآني والنبوي:

وأخيرًا اعلم أن اسم «الأرض المقدسة» و«الأرض المباركة» مصطلح ارتضاه الربُّ ﷻ لـ«فلسطين»، حينها ندرك تمامًا أهميتها وقُدسيتها عند اللَّه جلَّ في علاه، لكن للأسف غابت هذه المسميات الربَّانية، والمصطلحات النبوية، ولا أدري هل كان غيابها أو تغييبها جهلًا، أم قهرًا وقصرًا؟ وكلاهما كارثة وشرٌّ، لكن علينا أن نُعيد إحياءها، وإحياء مبانيها ومعانيها ومَضامينها، وإشاعتَها بيننا وفي قومنا والأمة بأسرها.

الانحراف العقدي للبشرية عبر تاريخها:

يا شركاءنا في الإنسانية والوطنية محمدٌ ﷺ الذي تعرفون وسادتُكم له منكرون؛ جاء هاديًا، محذِّرًا، منبِّهًا ومُخبرًا عن أحداث تفصيلية مَحِلُّها فلسطين، أخباره وحيٌ من ربِّ السماء؛ إذ هو بشر لا يُحسن القراءة ولا الكتابة، لكنه جاء بالقول الفصل، وكلما تقدم الزمان تجلَّت الكثير من الأخبار أمامنا بصدق ما جاء به محمد ﷺ، انظروا إلى عجلة الزمان وما فيها من أحداث ومحطات!

أخبار آخر أيام الدنيا كلها شاهدةٌ على صِدقه ﷺ، فقد أخبر عن حال سيؤول فيه العالم بأسره إلى أحداث متلاحِقة، كلٌّ حدث منها علامة على ما بعده فتأملوا إلى أشراط الساعة الصغرى منها والكبرى، وصدق ما أخبر عنه النبي ﷺ، فَلَكَ أن تنظر إلى مشهد من مئات المشاهد التي وصفها النبي تصف مستقبل اليهود وكذا النصارى، وأخيرًا المسلمين، وما سيكونون عليه من فِرَقٍ وطوائف عدة، كما أخبر النبي محمد ﷺ فقال: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ**

فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[١]، وفي رواية: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[٢].

بقاء وثبات ونجاة الطائفة المنصورة من الانحراف عبر تاريخ الأمة الإسلامية:

إن الطائفة التي سنتطرَّق لها عبر موضوعنا ليست كلَّ الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ التي ذكرها الحديث، فالأمر يا رعاك اللَّه ذو شجون، وفيه خصوص وعموم.

منها طائفة عملت لهذا الدين، وتميزت بصبرها وصلاحها وجهادها في سبيل اللَّه بالسيف والسِّنان، أو الحجةِ والبرهان، وقد يكونون أفرادًا انخرطوا في جماعات، وقد يكون منها جماعات انتسبت للفرقة الناجية، وقد يكون فيها من ليس منها إلَّا بدعواه!!.

كل نفس بما كسبت رهينة، فلا تُغنيهم شعارات برَّاقة مزعومة تدعو زورًا وبُهتانًا بنسبة مكذوبة إلى الفرقة المنصورة الناجية!!.

الطائفة المنصورة:

اعرِف موقعك من هذه الطائفة وهل أنت منها ومعها...، أم عنها بعيد... وبعيد جدًّا؟ أنت مدعو -وبإلحاح- أن تُعيد النظر بمدى جاهزيتك وملاءمتك لمشروع مواجهة الشيطان والنفس والهوى، ثم الدجَّال وأتباعه من يهود وغيرهم في كل زمان ومكان.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم: ٤٥٩٦، والترمذي، برقم: ٢٨٣١، وابن ماجه، برقم: ٣٩٩١، وأحمد، برقم: ٨٥١٢، من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم: ٣٩٩٣، وأحمد، برقم: ١٢٣٩١، من حديث أنس بن مالك.

أتباع الطائفة المنصورة هم رُوَّاد مشروع مسيرة النصر والتحرير، هم أيقونة القضية الحقيقيون المؤهلون بحقٍّ لقيادة المشروع، ومسيرة الحق والجهاد وأهله، لكن اعلم واعلمي -رحمكما اللَّه- أن صاحب هذه المهمة ومن ينشُدها؛ يجب أن تنطبق عليه الصفات والخصائص التالية:

هي في الجملة صفات جمعناها من روايات وطرق عدة، تتحدث بالتفصيل عمَّا ينبغي أن يكون عليه أتباع الطائفة المنصورة، كما جاء في حديث عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[(١)].

إن أحاديث الطائفة المنصورة بروياتها وطرقها المتعددة تتحدث عن الفئة المجاهدة في الأمة في كل أبواب الدين وعلومه، ولا يعني ذلك أنهم هم وحدهم على الدين والهداية، بل في الأمة كثير من أولئك ممن كانوا على منهج أهل السنة والجماعة، ومن وصفهم النبي ﷺ بالفرقة الناجية، إنما المقصود هنا من قام على أمر الدين وهمِّهِ، هم مشروع المواجهة والتحدي والصَّدْع بالحق، قال المُناوي: «هم جيوش الإسلام، أو العلماء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»[(٢)]، وقال الإمام النووي: «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[(٣)]، ومنهم من خصَّص كالشيخ محمد حبيب الشنقيطي فقال: «إنهم المجاهدون في فلسطين»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم: ١٠٣٧/ ١٧٤.
(٢) فيض القدير، للمناوي ٦/ ٣٩٥.
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي ١٣/ ٦٧.
(٤) زاد المسلم، للشنقيطي ٥/ ١٩٣.

سمات الطائفة المنصورة القائمة على أمر اللَّه :

بعد إدامة النظر والتأمل في الروايات الواردة في صفات الطائفة المنصورة؛ نلحظ أنها امتازت بصفات ليست لغيرها من عامة المسلمين، بل هي ذات تكوين وإعداد تربوي نبوي أصيل قلَّ مثيلُه حتى بين فئاتهم، ومن ادَّعوا أنهم على نهجهم! لكنهم في الحقيقة غرباء حتَّى بين أهلهم ومجتمعهم! بل هم فئة امتدح النبي ﷺ صفاتهم التي تؤهلهم لقيادة مشروع النصر والتمكين :

١- متمسكة بالحق ظاهرة عليه : وظهورهم يعني انتشار أمرهم وخبرهم في العالمين، قد يُخفون بعض حَراكهم وشيئًا من أساليبهم لضرورة الحفاظ على أرواحهم ومؤسساتهم، لكنهم لا يُخفون منهجهم ولا دينهم، واضحون كالشمس في رابعة النهار، قال ﷺ: «ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ»[١]، هم الكتلة الصُّلبة والمؤثرة، والكوادر الحقيقية للأمة ومتنها، والذين ينبغي أن نُؤْثِرَهم على غيرهم، حتى وإن كانوا قلةً، أو لا مال لهم، ولا شهرة، ولا سلطان، ولا مَنَعة، وفي رواية: «ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ»[٢]، وفي رواية: «قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»[٣]، وفي رواية: «يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٤]، وقال: «يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»[٥]، لا يبتغون من ذلك دنيا يصيبونها، بل هم مخلصون في قتالهم يرجون

(١) أخرجه البخاري، برقم: ٣١١٦، من حديث معاوية بن أبي سفيان.
(٢) أخرجه مسلم، برقم: ١٠٣٧/ ١٧٥، من حديث معاوية بن أبي سفيان.
(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم: ٧، من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه مسلم، برقم: ١٥٦/ ٢٤٧، ١٩٢٣، من حديث جابر بن عبد اللَّه.
(٥) أخرجه مسلم، برقم: ١٩٢٤ من حديث عقبة بن عامر.

رضا اللَّه ﷻ، ومقاتلتُهم على الحق عن علم وبيِّنة، لا عن شبهة أو رِيبة أو جَهالة، رواياتُ الأحاديث وطرقها كثيرة، لكنها تدل على صلابة اعتقادهم ومَتانة مبادئهم.

ما داموا على ذلك فبُشراهُم أن بقاء الحق فيهم، وأنه لا تُستأصل شَأْفَتُهم إلى قيام الساعة، كما قال النبي ﷺ: «عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ»[١]، واضحين في حُجَّتهم؛ فهم أصحاب حُجَّة قوية، منصورون على أعدائهم، معلنين دعوتهم بوضوح وصراحة غيرِ قائمة على التَّقية، أو المصلحة الخاصة، أو المصالح الحزبية الضيقة، متجردين متمسكين بالمظهر والجوهر على حد سواء، آخذين بمبادئ دينهم بقوة، وأنهم معروفون بمنهجهم وطريقتهم، وظهور حُجَّتهم على غيرهم، انتصارُهم الدائم للحق، وأنهم مؤهلون للغَلَبة والتمكين بعون ربِّ العالمين، وقد يكونون أفرادًا أو جماعات هنا أو هناك، ومنهم من يبعثه اللَّه تعالى مُجدِّدًا على رأس كل مائة عام، كما أخبر النبي عن ذلك بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[٢].

٢- مستمرون على الحق ولا يخلو منهم زمان: يدل على هذا قولُه ﷺ: «لَا تَزَالُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّتِي»[٣]، وفي رواية: «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي»[٤]، وفي

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٧٥١، من حديث أبي أمامة، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: ٥٨٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم: ٤٢٩١، من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٥٩٩.

(٣) أخرجه أحمد، برقم: ١٧١٨٦، من حديث معاوية بن أبي سفيان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٩٧١.

(٤) أخرجه البخاري، برقم: ٣٦٤٠، من حديث المغيرة بن شعبة.

رواية: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي»[١].

(لَا تَزَالُ): يُفيد الاستمرارية، وقال: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢]، فدل على أنه منهجها، متوارث جيلًا بعد جيل، مستمرون في العطاء والثبات على الحق من غير انقطاع إلى يوم القيامة، ابحث عنها تجدها متوافرةً أفرادًا وجماعاتٍ، وفي كل مجالات الدين وأبوابه، دَيْمُومةُ العمل لهذا الدين هي صفتهم وسَمْتهم، لم ينقطعوا عن العمل، ولم يستطيلوا الطريق، ولم يستبطئوا النصر، أو يستعجلوه، قابضون على الجمر، فهم على هذا الحال حتى تأتي منيَّتُهم، أو يتحقق لهم النصر مرةً بعد مرة في محطات الزمان الطويلة، وهم على هذا الحال إلى قيام الساعة، كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٣]، وفي رواية: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٤].

وهي بِشارة لهم ومن معهم؛ بأن الحق لا يزول بالكُلية عن هذه الأمة بعامة، كما زال فيما مضى بين بني إسرائيل، بل لا تزال عليه طائفةٌ، وهم مع قِلَّتهم لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم.

فالطائفة المرادة من كلام النبي ﷺ: الجماعة من النَّاس، والتنكير

(١) أخرجه البخاري، برقم: ٧٣١١، من حديث المغيرة بن شعبة، ومسلم، برقم: ١٥٦، من حديث جابر بن عبد اللَّه.

(٢) أخرجه مسلم، برقم: ١٥٦، من حديث جابر بن عبد اللَّه.

(٣) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٧٥١، والطبراني في المعجم الكبير، برقم: ٧٦٤٣، وفي الشاميين، برقم: ٨٦٠ من حديث أبي أمامة.

(٤) أخرجه الترمذي، برقم: ٢٣٣٧، أحمد، برقم: ١٥٨٣٧، والطبراني، ١٩/ ٧٥، برقم ٥٥ من حديث قرَّة بن إياس، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

للتَّقليل أو التعظيم، لعِظم قَدْرهم، ووُفور فضلهم، ويحتمل التَّكثير أيضًا، فإنَّهم وإن قلُّوا فهُم الكثيرون، فإن الواحد لا يُساويه الألف، بل هم النَّاس كلُّهم[١].

مخذولة من الناس: وخِذلانهم من الناس هو علامة أساسية في ثباتهم على مبدأهم في قوله ﷺ: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ»[٢]، وفي رواية: «لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ»[٣]، والعادة لا يكون الخِذلان إلا من الصَّديق، والمخالفةُ من العدوِّ، وفي رواية: «لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا»[٤]، وفي رواية: «لَا يُبَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ»[٥]، وفي رواية: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ»[٦].

وفي رواية: «لَايَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[٧]، وفي رواية: «حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٨]، فهم مُصِرُّون على منهجهم، متمسكون به مهما كان حجم المخالفة أو التَّخْذيل عليهم.

وفي رواية تصف تكالُب الناس عليهم يقول النبي ﷺ: «وَهُمْ كَالْإِنَاءِ بَيْنَ

(١) كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، للسندي ١/ ٧.
(٢) سبق تخريجه في الحديث السابق.
(٣) أخرجه ابن حبان، برقم: ٦١ من حديث قرَّة بن إياس.
(٤) أخرجه ابن ماجه، برقم: ٧، من حديث أبي هريرة.
(٥) أخرجه سعيد بن منصور، برقم: ٢٣٧٦، من حديث محمد بن كعب.
(٦) أخرجه أحمد، رقم: ٢٢٣٢٠، من حديث أبي أمامة.
(٧) أخرجه أحمد، برقم: ١٦٩١٢، من حديث معاوية بن أبي سفيان.
(٨) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٣٢٠، من حديث أبي أمامة.

الْأَكَلَةِ»[١]، فلم يكفِهم أنهم مخذولون بل اجتمع عليهم وتوحَّد كل أنواع الخصوم، وهم مع ذلك لا يتأثرون بخِذلان الناس وانصرافهم عنهم - وغالب الناس عن رأيهم معرضون- هم الغرباء الذين واساهُم النبي ﷺ بقوله: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»[٢]، ومما زاد النَّكارية أنَّ من مخالفيهم إخوانهم وأبناء جلدتهم الذين تساقطوا على طريق الدين فاستوحشتهم الغربة وطول الطريق وقلة النصير وضعف الحيلة، فترى جهادهم مخذولًا مع أنهم يقاتلون نيابةً عن الأمة بأسرها، لكن دونما نصير ولا تأييد، ولا إدراك من الأمة لدورهم وشرف مكانتهم ومهمتهم!.

ومع كل ما سبق إلَّا أنها منصورة: كما جاء في الحديث عن النبي محمد ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ»[٣]، وفي رواية: «مَنْصُورَةً عَلَى النَّاسِ»[٤]، فالنصر بأنواعه حليفهم بإذن اللَّه تعالى، وقد تكون طائفة منهم انتصرت في مكان ما، على عدوِّها بالسيف والسِّنان، وأخرى في مكان آخر انتصرت على عدوِّها بالحُجة والبيان، وهكذا . . .

فهم أصحاب حُجة منصورة ظاهرة على غيرها من الحُجَج والأفكار، وقد تهاوَت أمام حُجتهم الدعواتُ والآراء الباطلة، وفيه بِشارة لهم أن رأيهم هو الرأي الموفَّق المسدَّد القائم على الكتاب والسنة بفَهم سلف الأمة، ولقوة حُجتهم ونَصاعة فكرتهم، ووضوح منهجهم كانت محاربتهم

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣١٧، برقم ٧٥٤)، من حديث مرة البهزي.
(٢) أخرجه أحمد، برقم: ٦٦٥٠، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص.
(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم: ٦، وابن حبان، برقم: ٦١، من حديث قرة بن إياس.
(٤) أخرجه السمعاني، في فضائل الشام، برقم: ٤، من حديث قرة بن إياس.

لِئلا يجتمع الناس حولهم، ويُكثِّروا سوادهم، كما كانوا يفعلون مع النبي ﷺ وأصحابه، ففضح اللَّه خَبيئتهم، وبيَّن مرادهم فقال ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

مع أن هذه الطائفة تكون أحيانًا قِلَّةً مستضعفةً ومتناثرةً هنا وهناك، إلا أنها تكون منصورةً، كما جاء عن النبي ﷺ: «ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ»[(١)]، وقمةُ النصر والتمكين أن تكون قاهرًا لعدوِّك بقوة منهجك واعتقادك وحُجتك، متغلبًا عليه تمام التغلب والسيطرة على كامل إرادته، محاصرًا له بحُجَجِك والحقِّ الذي معك.

٣- الشام مكانهم وبيت المقدس مركزهم: أشارت الروايات النبوية وآثار الصحابة بكل وضوح إلى أن مكانهم من جهة غرب المدينة، كما قال النبي ﷺ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ»[(٢)]، وقال مطرف بن عبد اللَّه: «فَنَظَرْتُ فِي هَذِهِ الْعِصَابَةِ فَإِذَا هُمْ أَهْلُ الشَّامِ»[(٣)].

وإلى جهتهم تنبيهًا وتأكيدًا وتوضيحًا أشار النبي ﷺ بأُصْبُعه وقال: «هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، ونكَت رسول اللَّه ﷺ بأُصْبُعه يومئُ بها إلى الشام حتى أوجعها»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٣٢٠، من حديث أبي أمامة.

(٢) أخرجه مسلم، برقم: ١٩٢٥، من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه، برقم: ٧٩٥٧، من قول مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير.

(٤) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٩٦، والهروي في ذم الكلام وأهله، برقم: ٦٨٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢٥٨، من حديث أبي هريرة وأبي السمط، وقال الألباني في الصحيحة برقم: ٣٤٢٥: هذا إسناد صحيح، انظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية، ص ٧٧.

وفي رواية: «وأومأ بيده إلى الشام»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمهم اللَّه: «أهل الغرب هم أهل الشام»[٢]، وذلك أن النبي ﷺ كان مقيمًا بالمدينة فما يَغْرُب عنها فهو غَرْبُهُ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي مَيَّز أهل الشام بالقيام بأمر اللَّه دائمًا إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمرٍ فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام؛ فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نَقَص في آخر الزمان منها العلمُ والإيمان، والنصرُ والجهاد . . . وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان، ومن يقاتل عليه منصورًا مؤيدًا في كل وقت»[٣]، حتى قال النبي محمد ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا لَحِقَ بِالشَّامِ»[٤].

وبيَّن ﷺ بشكل دقيق أن محور تواجدهم ونقطة ارتكازهم هو بيت المقدس: ولما سأل أحدُ الصحابة عن مكانهم، كما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ:

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله، برقم: ٦٨٣، والسمعاني في فضائل الشام، برقم: ٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢٦٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/ ٥٣٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٤٤٩.

(٤) أخرجه ابن المرجى في فضائل بيت المقدس ص ٤٥٠ من حديث ابن عمر مرفوعًا، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد ١٩٣، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: ١٩٧٩١، والخلال في السنة ١٣٠٨ من كلام عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا، وانظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية ص: ٨٦.

«بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[١]، وعن أبي هريرة؛ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهَا، لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢]، ويرى بعضهم أنها في بيت المقدس دون سائر البقاع[٣].

والصحيح: أنهم في كل زمان ومكان أفرادًا وجماعاتٍ، لكنهم في بيت المقدس والشام مستمرون متوافرون مجتمعون.

هؤلاء هم أولياء اللَّه حقًّا المستبصرون المهتدون المستنيرون بنور اللَّه تعالى، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، هم من ينبغي أن تُحشَد الجماهير عندهم ومعهم؛ لتُسمَع مقالتُهم، فهم رأس حربة الأمة وقلبها النابض.

كُنْ من صُنَّاع رُوَّاد الطائفة المنصورة:

أتباع الطائفة المنصورة لم يأتوا من فراغ، وليسوا خَلقًا مختلفًا عن البشر، ولا هم رسل ولا أنبياء، ولم يكونوا وَليدي الصدفة، إنما هم ثمرة عملٍ دؤوبٍ من رجال ونساء، ومن مُخْرجات تربوية جادةٍ، أَفْنى لأجلها

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٣٢٠، والطبراني في الكبير، برقم: ٧٦٤٣، وفي مسند الشاميين، برقم: ٨٦٠، من طريق عيسى بن محمد بن إسحاق بن النحاس، عن ضمرة بن ربيعة، بهذا الإسناد، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: «قالوا: يا رسول اللَّه، وأين هم...» إلخ.

(٢) أخرجه أبو يعلى، برقم: ٦٤١٧، وابن عدي في الكامل، برقم: ١٧٤٦٠، وعبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا ص: ١٠٤، وتمام في فوائده، برقم: ١٧٧٣.

(٣) ومنهم ابن بطال في شرح صحيح البخاري ١٠/ ٦٠.

المربُّون الأعمارَ، فهم ثمرةُ الربَّانيون الموفَّقون المكتسبةُ، وتغذيتُهم الراجعة.

اعملْ على تأسيسها وادعمها، وساهِم في إعدادها وتربيتها، وتهيئة الأجواء لها، وتكثير سوادها، والحفاظِ عليها وعلى لُحْمَتِها، فستفوز يقينًا بأجرها، وأجر ما عملت لها.

وإن حال بينك وبين ذلك حائلٌ أو صائل فاعمل على البحث عنها والْتحِقْ في رَكْبها، ولا يفوتك على الأقل أن تكون أحد أفرادها، إن لم تكن قائدًا فيها.

كن حلقةً في سلسلة طلائع الفتح لبيت المقدس ومؤسسي الخلافة فيها، كما أخبر النبيُّ ابنَ حَوالة عن مكانها وسِماتها، فقال ﷺ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ . . .»[(١)]، فهي موطن الخلافة آخرَ الزمان بلا شك ولا ريب، فكُنْ أحد حلقات سلسلة من يعملون للإعداد لهذا المشروع العظيم ومن كان على نهجهم، وثمرةً من ثمراتهم، وقد تكون أنت أو أحد من نسلك من جند عيسى لمقاتلة المسيح الدجال هناك في فلسطين، كما أخبر النبي ﷺ: «حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»[(٢)].

فالعمل على ذلك فضلٌ وجهاد وواجب شرعًا، فهو مما لا يتم الواجب إلا به، والمسابقةُ والمسارعة إلى ذلك فيه عظيم الأجر والمنفعة، فتهيئةُ

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٤٨٧، وأبو داود، برقم: ٢٥٣٥، والحاكم، برقم: ٨٥٢٩، وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم: ٢٢٨٦.

(٢) أخرجه أحمد، برقم: ١٩٩٢٠، وأبو داود، برقم: ٢٤٨٤، من حديث عمران بن حُصين.

وإعداد الطائفة المنصورة برجالها ونسائها وأطفالها من عرب وعجم؛ أمرٌ مكتسب يمكن الخُلوص إليه إذا عملنا على أسبابها، وأخلصنا في مرادنا.

نداء إلى أهل فلسطين بخاصة وأهل الشام عامةً ومن هاجر من المسلمين إليهم:

الحديث وبرواياته وطُرقه المتعددة يُضاعف البِشارة والمسؤولية في آنٍ واحد؛ بأن يتحمل أهل الإسلام بعامة وأهل فلسطين والشام بخاصة عِبأ رِيادة هذا المشروع وقيادة قوافله، والسبب في ذلك ما يُفهم أحيانًا صراحةً وأخرى ضِمنًا من أحاديث النبي ﷺ، وإخباره مكان تمركُز وإقامة هذه الطائفة، ولأهمية الأمر وخطورته جاء فضل الشام وأهلها في عهد مبكر من بعثة النبي ﷺ، وقبل فتح أمصار الشام كلها، وما معجزة الإسراء والمعراج إلَّا دليل يُجلِّي العناية الربَّانية بالأرض المقدسة، حتى توالت بعدها إنجازات وأحداث تَتْرًا تدفع باتجاه مشروع تحرير وحماية ورعاية الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى، فزحف نحوها ﷺ بخير البشر من أصحابه، واقترب منها يوم تبوك عام ٩ للهجرة، بعد أن جنَّد الجند، ودعا لها ولأهلها، وأوصى مَن بَعدَهُ بالتحشيد والرِّباط والجهاد فيها وعلى أرضها إلى قيام الساعة بعد أن رتَّب على ذلك أنواع الفضل العظيم، فكان بعد وفاته ﷺ من الإنجازات التي لا تُعدُّ ولا تُحصى على يد نخبةٍ أعدَّها وهيَّأها رسول اللَّه ﷺ على خيرِ وأحسن ما يكونون عليه، فكانوا خير خلف لخير سلف.

المخطط السياسي الزمني لعودة الخلافة الراشدة في بيت المقدس:

سأتحدث هنا عن الخطوط العريضة لعُمر أمة الإسلام والتي حدَّدها النبي ﷺ في خمسة مراحل إجمالية، ولنا أن نُسمِّيها خُماسيات عُمر أمة

الإسلام؛ حتى ندرك جميعًا في أيِّ مرحلة نكون.

بين يديَّ حديثٌ هامٌّ يُقسِّم فيه النبي ﷺ عُمر أمة الإسلام إلى خَمس مراحل سياسية، وقد صنَّفه المحدثون في أبواب الخلافة والإمارة، وسمَّى الصحابة هذا الحديث بحديث الأمراء، وكما جاء عن النعمان بن بشير قال: كنا قعودًا في المسجد مع رسول اللَّه ﷺ، وكان بشيرٌ رجلًا يَكُفُّ حديثه[1]، فجاء أبو ثعلبة الخُشَني، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول اللَّه ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خُطبته، فجلس أبو ثعلبة، فذكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الحديثَ[2].

سنُعمِل الفكرَ في البحث عن حال الأرض المقدسة في هذه الفترات الزمانية، وما هي أبرز الأحداث التي تعرضت لها في فترات زمنية مضت من عُمر أمة الإسلام، وسنُبحِر معًا فيما بقي من أخماس عُمر أمة الرسول ﷺ، وما ستتعرض له الأرض المقدسة ومسجدها، وما يمكن استخلاصه من عِبَرٍ ومُلَحٍ بشأنها.

هي رؤية استشرافية مستقبلية تُعين الراصدين لمستقبل الأحداث على الأرض المقدسة؛ على تقديم رؤية استشرافية واثقة للأحداث هناك، ليس هذا فحسب بل يُحسِن الراصد بعدها قراءة كثير من الأحداث والحَراك العالمي المرتبط بفلسطين بشكل أو بآخر.

قد تتقاطع بعض تفاصيل أحداث آخر الزمان وغيرها مع ما تضمَّنته كتب اليهود والنصارى، وما حشدوا جهودهم وهيَّأوا الظروف لها، لتُشكِّل في

(١) أي: قليل الكلام.

(٢) أخرجه أحمد، برقم: ١٨٤٠٦، وأبو داود الطيالسي، برقم: ٤٣٩.

مجموعها مُناخًا عالميًّا عامًّا .

إنه خبر نبويٌّ يستحق التأمل فيه خاصةً في زماننا هذا الذي أصبح قابَ قوسين أو أدنى من تحقيق الخبر النبوي في استعداد الأرض المقدسة، وتهيُّؤها للقيادة، خبرٌ يرويه المختصُّ بشؤون أخبار آخر الزمان الصحابي الجليل حذيفةُ بن اليمان رضي الله عنه، صاحبُ أسرار النبوة المُحمدية، والمتخصص في أبحاث الفتن حَسَب لغة العصر .

الحديثُ وبشكل إجمالي يُخبر عن خمسة أزمنة أساسية وكُلية في آنٍ واحد من عُمر أمة الإسلام، كلٌّ مرحلة منها كانت تحمل صفةً خاصةً بها، ابتدأها الربُّ سبحانه وتعالى في بعثة نبيه محمد ﷺ، وهي المرحلة الأولى من مراحل أمة الإسلام، وآخرُها خلافة على منهاج النبوة في الأرض المقدسة، لكن دعونا نعيش مع النص النبوي كما يرويه حذيفة بن اليمان عن رسول اللَّه ﷺ قال: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»[1]، ثُمَّ سَكَتَ .

الحديث فيه إخبار عن مسيرة زمانية جديدة للبشرية تبدأ من بَعثة النبي محمد ﷺ لا قبلها، والعاقلُ منَّا من يُحسن قراءة أحداثها وطريقة التعامل معها، ليستبصر طريقه، ويعلم في أي محطة زمانية ومكانية هو، ليُمكِّنه ذلك

(١) أخرجه أحمد، برقم: ١٨٤٠٦، وأبو داود الطيالسي، برقم: ٤٣٩.

من قراءة استشرافية مستقبلية واثقة للأحداث.

وحتى لا أُطيل دعونا نتنقَّل سويًّا بين محطات الدنيا الزمانية، في ظلال هذا الحديث، لنرى معًا سمات كل فترة منها، وعَلاقتها بالأرض المقدسة، وفي أي محطة زمانية نسير:

١- قال ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ»: وهي المرحلة التي استفتح بها الربُّ -جلَّ في علاه- عهدًا جديدًا للبشرية بمحمد ﷺ، ورسالتِه الخاتمة للعالمين إلى يوم القيامة، مرحلةٌ جاءت تزكيتها على لسان النبي ﷺ، لم يوازِها ولم يساوِها في فضلها وأهلها مرحلةٌ من تاريخ البشرية قط، حتى قال عنها النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . . .»[١].

مرحلةٌ مع أهميتها في ترسيخ دعوة النبي محمد ﷺ، وعظيم التحديات التي تواجهها مع قوى الشر والكفر بأنواعها، وكونها بدأت فقيرةً ماديًّا وبشريًّا ليس لها مَكِنة ولا مَنَعة؛ إلا أن بيت المقدس وأرضه كانت حاضرةً في وِجْدان النبي ﷺ ومنهجِه ومشروعِه الاستراتيجي، وبوَحْي ربَّاني.

لا شكَّ أنها محطة تتحول عندها مسارات التاريخ الإسلامي، لم يكن ذلك من قَبيل المصادفة، أو إشغال وقت فراغ النبي ﷺ وأصحابه رضوان اللَّه عليهم، وتَسْليتهم في حكايات وأحداث تاريخية، بل إنها عقيدة مرتبطة بالأرض المقدسة.

جاء قدر اللَّه لمحمد ﷺ ومن غير ترتيب منه! أن يُحمل ليلًا وعلى عَجَلٍ في بداية دعوته في مكة، وقبل أن يكون له جيش أو دولة فضلًا عن أن أحكام الدين وتشريعاته لم تُوحَ له بَعْدُ؛ ليُحمَل على دابَّة دُعيت «البُراق»،

(١) أخرجه البخاري، برقم: ٢٦٥٢ من حديث عبد اللَّه بن مسعود.

لم يعرِفها، ولم يسمع عنها من قبل! يُحمَل عليها بصحبة جبريل في تشريفات وتَكْرِمة ربَّانية أرضية وسماوية لم تكن لأعظم ملك في الأرض! وفي ساعةٍ من ليل ليطوف به السماءَ كلها! وكانت محطة إقلاعه من الأرض وهبوطه إليها هي المسجد الأقصى كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ . . . . هي بُشرى مبكرة من اللَّه لنبيه محمد ﷺ بفتح المسجدين الحرام والأقصى وتحريرهما، وأنهما مسجدان، وانفردا باسم «مسجد» وهو اسم لا يُطلق إلا على دور عبادة المسلمين، وكأنه حَسْمٌ للموقف والتبعية، فكانت السورة للنبي والمسلمين من بعده بمثابة الخُطة الاستراتيجية، والنظرة الاستشرافية لمراحل المعركة وطبيعتها مع اليهود والمشركين في الجزيرة، وهي في نفس الوقت مواساةٌ وتَصْبير له ولأصحابه بأن العاقبة له ومن معه، مع أنهم كذَّبوا إسراءه ومِعْراجه، لكن اللَّه عجَّل له بما يُصدِّق دعواه.

وفي زمن نبوَّته جمع اللَّه له الصلاة في القبلتين وإلى القبلتين إنهاءً لسِجال تكهنات قريش أو اليهود بانتقال الرياسة لمحمد ﷺ وأصحابه للمسجد الأقصى، وإسدال الستار على دَورهم والمهلة التي كانت لهم لاستدراك مكانتهم إلا باتباع النبي الجديد، لكن في إشارات ربَّانية في مطلع سورة الإسراء يُخبر اللَّه نبيَّه محمدًا ﷺ وبقية بني إسرائيل بالمسارعة بالإحسان لأنفسهم، وإلا ستكون المذلَّة عليهم والاندحار بعد علوٍّ هناك في الأرض المقدسة، وإلى قيام الساعة ستبقى مركز الصراع الكوني العقدي.

والمتأمل في عمل النبي ﷺ في هذه الحِقبة الزمانية وبشكل مبكر، وخُطته لإنقاذ مسجد بيت المقدس والأرض المباركة من الرُّومان الصليبيين؛ يرى أنها كانت مشروعه الاستراتيجي بَدءًا من رحلته ليلةَ

الإسراء والمعراج في مكة وقبل التمكين، حتى آخر سنوات عُمره يومَ تبوك التي كانت آخر محطة له ﷺ من الجزيرة وأولها من جهة الشام، وأقربها للأرض المقدسة، مُمهِّدًا الطريق لمن بعده لفتح الأرض المقدَّسة وتحريرها.

حينها حدَّد النبي مَعْلمًا مهمًّا بعد مرحلة نبوَّته ومؤشرًا قريبًا متعلقًا بالأرض المقدسة، فكان فتح بيت المقدس علامةً فاصلةً بين مرحلتين: بين النبوة والخلافة الراشدة، حينما دعا عَوف بن مالكٍ رضي الله عنه إلى خِبائه يوم تبوك، ثم قال له: «اعْدُدْ -وفي رواية: احْفَظْ[1]- سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ: مَوتِي، ثُمَّ فَتحُ بَيتِ المَقْدِسِ...»[2]؛ أي: احْسِب وعُدَّ ستَّ علامات لقيام الساعة، فكان ما قال ﷺ، فبَعْد وفاته كانت خاتمة المرحلة الأولى من عُمر أمة الإسلام، وهي المرحلة المستنِدة في حُكمها إلى الوحي والأمر الربَّاني للنبي ﷺ.

واقتضت حكمة الربِّ سبحانه وتعالى ألَّا يكون فتح بيت المقدس على يد رسول اللَّه ﷺ؛ ليُعطي الأمة وقادتها درسًا بألَّا يستعجلوا النصر، وقَطْفَ الثمر، وأنَّ لكل زمان دولةً ورجالًا.

٢- وقال ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»[3]: وينقلب الحال، وتتحول الرياسة والقيادة من نبيٍّ مُوحًى إليه، إلى خلافة قائمة على الشورى، فكانت في خير رجال الأرض بعد الأنبياء، تستمر فيها الخيرية التي قال عنها

(١) أخرجها ابن ماجه، برقم: ٤٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، برقم: ٣١٧٦.

(٣) أخرجه أحمد، برقم: ١٨٤٠٦، وأبو داود الطيالسي، برقم: ٤٣٩ من حديث حذيفة بن اليمان.

النبي في الحديث السابق: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي . . .»[١]، حتى ينقضي زمانهم.

في هذه المدة كانت التعبئةُ المعنوية والعلمية والفكرية والجهادية في ذُروتها في جيل الصحابة الذين أشرف النبي ﷺ شخصيًّا على تأسيسهم، وتربيتهم تربيةً جادةً وجاهزةً لخَوض غِمار مشاريع الفتح والتحرير، وبناء البشر والحضارات.

لكن بعد وفاة النبي ﷺ اعترى مشروعَ حكومة أبي بكر الصديق الخليفة الأول، ما نكَّد عليه مسيرة الانطلاقة الخارجية لفتح الأمصار؛ بارتداد كثير من ديار الإسلام، وامتناع بعضهم عن دفع الزكاة، والتردُّدِ في إنفاذ جيش أسامة بن زيد، كلُّ ذلك أشغل الخليفة عن كامل التطلعات الخارجية، لا سيما أن فترة حكمه-والتي كانت قرابة السنتين وأربعة أشهر- قصيرة نسبيًّا إذا وُضعت مع باقي فترات الخلفاء الآخرين.

هنا نتذكر عوف بن مالك، أين هو؟ وأين إخبار النبي له بفتح بيت المقدس الذي يعقُب وفاتَه؟ فقد مات النبي ﷺ وها هو الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحكم، ولم يرَ فتحًا لبيت المقدس!.

يدرك عوف بن مالك رضي الله عنه، كما يدرك كل صحابة النبي ﷺ الذين تربَّوا في كَنَفِه؛ أولوياتِ الفتح وشروطه وأسبابه، يدركون أن تهيئة البناء والصف الداخلي وترتيبه مقدَّمة، ويعلمون أهمية لُحْمة القيادة بالقاعدة، يدركون تمامًا أن متانة البِنية الداخلية هي سبب الظَّفَر على الأعداء، لم ينشغل عوف رضي الله عنه في التحريض على الخليفة في تعجيل فتح بيت المقدس، كما أن أبا بكر رضي الله عنه لم يتعجَّل فتح بيت المقدس على حساب أولويات رَصِّ الصف، وإعادة

(١) أخرجه البخاري، برقم: ٢٦٥٢ من حديث عبد اللَّه بن مسعود.

لُحْمته، والإمساك بزمام الأمور.

أدرك بوعي وفَهم عميق أن لتحرير بيت المقدس شروطًا وواجبات وأولويات ومهامًّا تسبق الفتح؛ لأنها من لوازمه، ولا يتأتى الفتح إلا بها.

وبعد فترة غير طويلة ينتقل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى جوار ربِّه عام ١٣هـ، ثم يتولى الخلافة من بعده الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد عامين تقريبًا من استلام أمر الخلافة، وبعد أن مهَّد له الرسول ﷺ الطريق، وكذا من بعده أبو بكر رضي اللَّه عنه؛ ها هو عمر بن الخطاب الخليفة الراشد يُكمِل مسيرة الإصلاح والبناء المتين لدولة الإسلام، حتى هيَّأ اللَّه له فتح بيت المقدس صلحًا ومن غير قتال عام ١٥هـ، لتتجلَّى عندها نبوءةُ المصطفى ﷺ بفتح بيت المقدس بعد وفاته.

وها هو الصحابي الجليل عوف بن مالك الذي أخبره النبي ﷺ عن موته، ثم فتح بيت المقدس يرى المشهد الذي أخبر عنه النبي يوم تبوك.

إنه مع رجالات الفتح المقدسي، مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح بيت المقدس[١]، ينال شرف الصلاة في مسجد بيت المقدس، وفي الشام يتوفاه اللَّه رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين[٢]، لم يتعجَّل خبرَ النبي ﷺ له، وأدرك تمامًا أن لكل زمان دولةً ورجالًا وأسبابًا يُهيِّئها اللَّه تعالى، وسننًا كونيةً، وأخرى شرعيةً لا يمكن تجاوزها.

أما هذه الحقبة الزمانية والمرحلة التاريخية الثانية من عُمر الأمة فقد حدَّد النبي ﷺ زمنها بشكل متناهي الدقة، ومدتَها، وطبيعةَ الحكم فيها،

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، ص ١١٥٢.
(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/ ٤٩٠.

فقال ﷺ: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَسَائِرُهُمْ مُلُوكٌ...»[١]، فإذا عَدَدْنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنةً لا تزيد ولا تنقُص يومًا[٢].

ثم يأتي الزمان الفاصل بين هذه المرحلة والتي تليها، وكان ذلك بعد خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتحديدًا بعد استشهاده في ١٧رمضان، سنة ٤٠هـ، وتولى الحكم بعده ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما، غير أنه لِنَزْعِ فَتيل فتنة عمياء أطلَّت برأسها على الأمة؛ تنازل الحسن[٣] عن الحكم لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في ٢٥ربيع الأول سنة ٤١ هـ، وكان ذلك في بيت المقدس، وقد سُمِّي هذا العام بـ«عام الجماعة»، وبذلك تُوِّجَ معاوية كأول ملِك في الإسلام، عندها طُويت صفحة مرحلةٍ زمانيةٍ حدَّدها النبي محمد ﷺ بكل دقة، ليأتي بعدها مُلكٌ أقل فضلًا وشأنًا، إنه المُلكُ العاضُّ.

٣- وقال ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا»[٤]: يُصيب الناسَ الظلمُ والعَسْف كأنهم يُعَضَّون فيه عضًّا، وفي رواية: «ثُمَّ يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهِ تَكَادُمَ الحُمُرِ»[٥]، يتكادمون: وهو الكَدْم، أي: العضُّ بأدنى الفم، كما يَكْدُم الحمارُ[٦]، وفي

(١) أخرجه أبو داود، برقم: ٤٦٤٧، والترمذي، برقم: ٢٣٧٥، والنسائي في الكبرى، برقم: ٨٢٩٦، وابن حبان، برقم: ٦٦٥٧ واللفظ له، من حديث سفينة.

(٢) انظر: العواصم من القواصم، ابن العربي، ص ٢٠٧.

(٣) وهو مصداق قول النبي ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل اللَّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، أخرجه البخاري، برقم: ٤٦٦٢.

(٤) أخرجه أحمد، برقم: ١٨٤٠٦، وأبو داود الطيالسي، برقم: ٤٣٩ من حديث حذيفة بن اليمان.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم: ١١١٣٨ من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٩٦٤: رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة، برقم: ٣٢٧٠.

(٦) مختار الصحاح، للرازي، ص ٢٣٥.

رواية: «الحَمِيرِ»[١]، أي: يقبضون عليها يَعَضُّونها[٢]. يقال: كَدَمَ الحمارُ كَدْمًا، أي: عضَّ بأدنى فمه[٣]، كتكادُم الفَرَسين؛ يعضُّ أحدهما صاحبه، وكأنهم يتقاتلون على المُلك حتى لا يُبقي أحدُهم الآخرَ، أي يَعَضُّ بعضُ أهلِه بعضًا، كَعَضِّ الكلاب، كما في رواية أخرى، ويقول النبي ﷺ: «فَيَكُونُ»؛ أي: المُلْكُ، والأمرُ على هذا المِنْوَالِ، وهذه الحال «مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى»[٤]؛ أي: الأمرَ على هذا المِنْوَالِ، وهذا دليل على أن النبي لم يكن يعلم الغيب، ولم يُقدِّر قَدَرَه، ولم يعرِف عِدَّة أيامه وسُنونه، وكل ما سيأتي هو من قَدَر اللَّه تعالى.

كانت بدايتها زمن الإمارة الأُموية ثم العبَّاسية وغيرها من إمارات، وانتهاءً بالخلافة العثمانية، وهي المراحل التي انتقلت من الشورى إلى التوريث في هذا النوع من الملك.

في فترة من فترات هذا الزمان كان البيتُ المقدَّس يَئِنُّ بعيدًا عن حِياض الإسلام مدةَ قرن من الزمان تقريبًا؛ لمَّا نُصب فيه الصليب واستحكم، وعاثوا فيه جميع أنواع الفساد وألوانه يوم دخلوه سنة ١٠٩٩م، لكن اللَّه تعالى قيَّض له رجلًا من غير أهل فلسطين ولا من عِرْق العرب أو القرشيين، إنه المجدِّد في باب الجهاد[٥] البطل صلاح الدين الأيوبي رحمه اللَّه تعالى

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، برقم: ٢٣٦، والحاكم في المستدرك، برقم: ٨٦٨٢.
(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٤/ ١٥٦.
(٣) المصباح المنير ٢/ ٧٢٣.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري، ٨/ ٣٣٧٥.
(٥) نقلًا عن الشيخ محمد المنجد في شريط له عن صلاح الدين الأيوبي؛ أنه سأل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن صلاح الدين الأيوبي فقال: هو مجدد الأمة في الجهاد.

الذي حرَّرها، وغيَّرها من دَنَس الصليبيين عام ١١٨٧م.

وعندها طُويت صفحة مرحلةٍ زمانيةٍ أخرى حدَّد النبي ملامحها بكل دقة، ليأتي بعدها مُلكٌ أقل فضلًا وشأنًا، وهو الملك الجَبْري.

٤- قال ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً»: وهو من الجَبَروت والعظمة وشدة الظلم، هي المرحلة التي نعيش زمانها، وبدأ توقيتها منذ سقوط الخلافة العثمانية آخرِ حصن وإمبراطورية ومَنَعة إسلامية، تَهاوَت الأمة بعدها إلى دول قسَّمها وقاسَمَها الاستعمار بين سايكس وبيكو وأصبحت أثرًا بعد عينٍ، فتسلط على البلاد والعباد وما فيها من خيرات أحقرُ خلق اللَّه من يهود وصليبيين، ففرضَ فيها وعليها أنظمةً وظيفيةً مأجورةً طوَّعت الناس بالعِصيِّ والدساتير القاهرة المستبِدَّة والمُسْتَعْبِدة للأفراد الذين ساقوهم كالعبيد في سوق النِّخاسة[1]، بإرادة معطَّلة وعقولٍ مسلوبةٍ.

فجيء بسلاطين وحكام وأمراء من غير اختيار الناس، ولا رضاهم، ولا بانتخاب أو ترشيح نزيهٍ أو نحوه، وهم بين معطِّل أو مبدِّل لشرع اللَّه تعالى، ومنهم ومن وراء الكواليس من قَهرَهُ المستعمر على ذلك، أو جرَّده من وسائل القوة أو المَكِنة.

لكن أين هي الأرض المقدسة في هذه المرحلة وما شأنها؟

لقد سُلبت فلسطين وديعةُ محمد ﷺ من حُضن أمة الإسلام؛ يوم احتلَّها البريطانيون تحت مسمَّى الانتداب سنة ١٩١٨م، ثم مكَّنوا اليهود منها يوم

(١) والنخاسة في اللغة من: نخس؛ أي: ضرب الدواب بالعصى حتى تنشط وتتحرك، وكانت العرب قديمًا تسمي سوق بيع العبيد من الذكور والإناث بسوق النخاسة. انظر: لسان العرب، ٦/ ٢٢٨ مادة (نخس).

كانوا لا يتجاوزن ٨ من نسبة سكان فلسطين، وعلى ٢ من أرضها فقط، بعد أن كانت حاضنةً وراعيةً لهم في بريطانيا، وبكل سهولة سنة ١٩٤٨م، يوم أن غزاها اليهود وبتآمر بريطاني وغربي منافق مراوغ حاقد، في غفلة أمة قصَّرت وفرَّطت، بل طبَّلت وهلَّلت وكبَّرت للمستعمر يوم أن جاءها كمخلص وحليف لها -كما زعموا!- من بطش العثمانيين، وفي المقابل كان تقصيرها بحق ربِّها أَبْيَنَ وأظهرَ، وإلى اللَّه المشتكى، فكانت بمثابة أكبر طعنة تلقتها الأمة، يوم أن احْتُلَّت فلسطين.

لكن اللافت في الأمر، والغريب في الحادثة! أن يهود استطاعوا الانسلال إلى الأرض المقدسة قلبِ العالم الإسلامي، واستباحتَها والسيطرةَ عليها، ثم تكوينَ دُوَيلة نشازٍ فيها بدعم غربي لا حدود له، وحَشْدٍ صهيوني عالمي منظَّم لا نظير له، تداعى لأجله يهودُ العالم للتمكين والسيطرة على فلسطين، ولك أن تتأمل أن نكبة احتلال فلسطين في هذا الزمان كانت من أشد نكبات المسلمين وأكثرها وَقْعًا عليهم وتعقيدًا بين مشكلاتهم المعاصرة، كلُّ ذلك كان بسبب تنكُّب طريق الهداية والصلاح والإصلاح، وقد أخبر رسولنا الكريم ﷺ عن حالة ستكون عليها الأمة من هوانٍ وتَداعٍ عليها من كل مِلَل الأرض وجهاتها، لم يُعرَف له نظيرٌ أو شبيهٌ من تاريخ سابق، فقد تداعت مِلَل الكفر بأنواعها يهودية، وصليبية بفِرَقِها وأحزابها، وشيوعية، وبوذية بمللها، بدعم مباشر وغير مباشر بتَرْسانة وحشود عسكرية وفكرية ومعنوية نمَّقوها، وزيَّنوها بإعلام مزور كاذب، كلٌّ منهم له نصيبه في تقطيع أواصر الأمة وجسدها، وتقسيم خيراتها ومواردها بينهم، عن كل ذلك يقول ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا

يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

ألا ترى معي أخي الكريم أننا نعيش زمان عُلُوِّ اليهود؟ وأظنه العلوَّ الثاني لا محالة، كما أخبر ربِّي عنه في سورة الإسراء، فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧].

لك أن تتأمل أن سورة الإسراء مكيَّة، أي إنها نزلت في وقت مبكر من دعوة النبي ﷺ، لذلك فإنها أيضًا تُسمَّى سورة بني إسرائيل، لكنها لم تتحدَّث عن الاسراء إلا في أولها، ثم تحدَّثت بعد ذلك عن فساد اليهود، مع أن اليهود لم يكونوا في مكة، كما أن المسجد الأقصى وبيت المقدس محتلٌّ من الرُّومان وليس منهم، ويومُها لا شأن لليهود فيه، ونقاط الالتماس بين اليهود والنصارى كانت قليلةً سوى الرِّبَوِيُّون منهم يَقْدُمون مكة ليعقدوا صفقات الربا بينهم وبين بعض القرشيين، لكن الآيات سالفة الذكر قدَّمت للرسول ﷺ الرؤية المستقبلية لأحداث قادمة لا محالة، وأظن أننا نعيش إرهاصاتها.

كان الإسراء بالنبي ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة أو ١٦ شهرًا، في

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٣٩٧، وأبو داود، برقم: ٤٢٩٧ من حديث ثوبان.

٢٠ رمضان، فكانت السورة للنبي ﷺ والمسلمين من بعده بمثابة الخُطة الاستراتيجية والاستشرافية لمراحل المعركة وطبيعتها مع يهود.

تأمَّل معي وبكل دقة مستحضِرًا التاريخ اليهودي برُمَّته، هل تجد علوًّا كهذا العلو؟ وهل تجد في ماضيهم من أمدَّهم بالدعم والنصرة، والإمداد بالمال ونصرة البنين وتهيئتهم كما نراه اليوم جليًّا واضحًا في ظل دولة وكيان سياسي مستقلٍّ لهم؟

ومن عظمة ما وصلوا إليه من عُلوٍّ، فإني وبكل يقين أقول: إن لليهود دولتين على هذه الأرض: الأولى هي التي أنشأوها في فلسطين كدولة وشعب وظيفي يحقق أطماعهم في مشرقنا الإسلامي؛ من اختراق وتغريب وتشتيت للجهود، ليصبَّ كل ذلك في مصلحة حكومة العالم الخفية التي يديرون بها الدولَ ورؤساءها، ويتحكَّمون بالمؤسسات الأُممية بأنواعها، كهيئة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، ومحكمة العدل الدولية، ومنظمة الصحة العالمية، وغيرها من أدوات تَدَّعي الأُمَمِيَّة والشفافية، وما هي إلا آلات حرب على الأمة لاستنزافها وتطويعها وتَرْكيعها!.

وأخيرًا قال ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»: وهي آخر نظام سياسي في الأرض في ظل عُمر أمة رسول اللَّه ﷺ، فبَعْدَ الظلم والجَوْر قرونًا من الزمن، وبَعْد ظلام دامِسٍ تقلَّبت فيه مجتمعات الأرض بسبب أنظمة فاسدة جائرة؛ تتهيَّأ الأرض بأسباب كونية وشرعية يطول شرحها في هذا المقام، وينقلب الحكم ويَصِير «خِلَافَةً»، نعم، تَقَعُ وَتَحْدُثُ خلافةٌ كاملةٌ وعلى أحسن حال، كما وصفها النبي ﷺ: «خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، أي: مِنْ كَمَالِ العَدَالَة، وهي زَمَنُ عِيسَى عليه السَّلامُ وَالْمَهْدِيِّ، وهي خلافة تامَّة العدل شبيهةٌ بالمرحلة الثانية من عُمر أمة الإسلام التي حَكَمَها الخلفاء

الأربعة، وستكون هي العاصمة الدينية والسياسية لقيادة المسلمين في العالم في إشراقة جديدة لشمس الإسلام، وحكمه العادل في الأرض.

ثم قال حذيفة بن اليمان راوي الحديث: «ثُمَّ سَكَتَ»، أي: النبيُّ ﷺ، وكأنه لن يكون بعده شيءٌ من حكم أو نحوه.

لكنها خلافة المرحلة الخامسة والأخيرة من عُمر أمة الإسلام بل من عُمر البشرية بأسرها، وهي آخر خلافة في الأرض، بل آخر حكومة وسلطان، ثم الهَرْج الهَرْج[1]، لكن أين تكون هذه الخلافة العادلة يا تُرى؟ على أي أرض؟ وفي أي مكان؟

إنها في الأرض المقدسة «فلسطين»، أخبر النبي ﷺ عن ذلك بشكل صريح من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالَةَ الأَزْدِيِّ رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[2].

وبشَبيهِ ذلك يعتقد اليهود، بل ويسعَون لتهيئة الظروف لتعجيل هذه الأحداث وأسبابها، ألا ترى معي أنهم يحاولون جاهدين في مشاريع ما يسمى بـ«صفقة القرن»، والتي كل شيء فيها لصالح اليهود ودولتهم، لتعظيم مكانها ومكانتها على حساب الآخرين؟ كما أعلنوا عن القدس عاصمةً لدولتهم الأبدية المزعومة التي ستكون إلى نهاية الزمان ليأتي مُخَلِّصهم

(١) يعني: القتل القتل، بلغة أهل الحبشة. انظر: لسان العرب، ٢/ ٣٨٩ مادة (هرج).
(٢) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٤٨٧، وأبو داود، برقم: ٢٥٣٥، والحاكم، برقم: ٨٥٢٩، وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم: ٢٢٨٦.

«الماشيح»[١]، يحكم العالم منها بعد أن يقود حربًا مقدسة في نهاية الزمان، تقضي على المسلمين والنصارى وغيرهم، ولا يبقى إلا هم!.

ويدَّعي اليهود أنه مَلِكٌ من نسل داود عليه السلام[٢]، يُنهي عذابهم، ويأتيهم بالخلاص، ويجمع شتات المنفيين منهم، ويعود بهم إلى صُهيون، ويحطِم أعداء اليهود، ويُعيد بناء الهيكل، ويتخذ القدس عاصمةً لهم، ويحكم بشريعة التوراة[٣].

لهذا تجدُهم يسابقون الزمن، ويتسابقون في التأكيد على يهودية دولتهم، وحَشْدِ الدول لنقل سفارتها إلى مدينة بيت المقدس المحتلة، كعاصمة أبدية -كما زعموا- لدولة إسرائيل، والإصرار على الْتقاط المشكوكِ في يهوديتهم أو هم أصلًا من غير اليهود من دول العالم كالهند والصين وغيرها، من أرض لا يُعرف لليهود فيها وجودٌ ولا تاريخ، وتنازلوا عن شروط صارمة في تعريف اليهودي، تخلَّوا عنها في سبيل تكثير سوادهم في فلسطين.

بعد هذه الخلافة التي هي في فلسطين تكون خاتمة الدنيا، والشُّغْل كل الشغل بعدها بأشراط الساعة الكبرى وأهوالها وفتنها، حينما تقوم على شِرار الخلق، بعد ريح تقبض كل نَسْمة مؤمنة، وتخلو الأرض ممن يقول:

---

(١) كلمة عبرية تعني: «المسيح المخلص»، وهي مشتقة من الكلمة العبرية مشح؛ أي: مسح بالزيت المقدَّس. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٢/ ١٠٤.

(٢) يعتقد اليهود أن سليمان وداود عليهما السلام ملكان لا نبيان.

(٣) لمزيد فائدة راجع: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٢/ ١٠٤.

اللَّه اللَّه، ولا يكون في زمانها إلا شِرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة -جنَّبنا اللَّه وإياكم شرَّها وشرَّ ما تجيء به- فكانت الأرض المقدسة بذلك الساعةَ الزمنية للكون كله في بدايته ووسطه وآخره.

الأرض المقدَّسة نَبْض الأمة إلى قيام الساعة:

الأرض المقدسة علامة ومؤشِّر ومِيزان ونبض للأمة، ومركز صراعها الكوني والعَقَدي، جاءت في الكتاب والسنة ضمن الأحداث الكُليَّة الكبرى لتاريخ الأمة، متسلسلة إلى آخر الزمان، فكانت علامةً فاصلةً لمحطات متعلقةٍ بمصير الأمة، كما أنها بمثابة مِجَسَّات تَنَبُّؤية لأحداث مستقبلية، حاكمةٍ على ظروف وأحداث وأمكنة وأزمنة وأشخاص.

وكثير منها جاء ذكرها في سياقات تاريخية واضحة، وأخرى جاء وصفٌ لمكانها والمؤثِّرين الرئيسيين فيها، وقد امتزج فيها الزمان والمكان والأشخاص والشجر والحجر والحيوان، ليشكِّلوا مشهدًا ينبغي على كل مؤمن أن يراقبه ويفهمه ويتهيَّأ له ويتعِظ به، ولا شك أن هذه الأحداث تشكِّل حياتنا وتؤثر فيها، بل هي شاهدة على صدق نبوَّته ﷺ، ومن أمْعَن النظر، وأدام التفكر والتفكير فيها يجدها تجري في عروق تاريخ الأمة بشكل مباشر دونما انقطاع.

وعند هذه المحطات دعونا نغوص معًا في أعماق بعض معاني هذه الأحداث الزمانية والمكانية في الأرض المقدسة:

المحطات الكونية (الزمانية والمكانية والبشرية) كلها حاضرة على الأرض المقدسة إلى آخر أيام الدنيا:

إنه أمر غريب حقًّا أن نرى فلسطين قد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بعُمر الأمة

زمانًا ومكانًا، وارتباطًا بشريًّا وثيقًا في بداية الزمان ووسطه وآخره، وكانت أحداثُ الدنيا المؤثرة والرئيسة فيها وعليها!.

دعونا نسير معًا في بعض المحطات المتنوعة بأسبابها وأزمنتها المختلفة والمتباعدة، وكذا أشخاصها وشُخوصها، لكن مع التأكيد مرةً أخرى أنها كلها على الأرض المقدسة «فلسطين»:

١- مسجدها قِبلةٌ أُولى للمسلمين: أن تكون قبلة المسلمين الأُولى فيها هو شرف عظيم لها، ومكانةٌ لا تُضاهيها مكانة، كما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ قال: «صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا -أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا- ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ»[(١)]، فالصلاة إلى قبلتها لتعظيم شعيرتها وصناعتها في قلوب أصحاب النبي ﷺ.

٢- حادثة الإسراء والمعراج: ولعظيمِ شأن الأرض المقدسة عند اللَّه تبارك وتعالى؛ جعل رحلة معراج النبي ﷺ وعودته إلى السماء من فلسطين وإليها، كانت أيضًا محطتَه الأرضية في إسرائه ذهابًا وإيابًا من مكة، وفي مسجدها الأقصى جمع اللَّه له كل الأنبياء وصلَّى بهم إمامًا في جمعٍ لم يُجمعوهُ على الأرض من قبلُ ولا من بعدُ، وفيها نجح النبي ﷺ في اختبار اختيار اللَّبن رمزِ الفطرة على الخمرِ رمزِ الفساد وأهله، وغيرها الكثير الكثير...

٣- موت النبي علامة على فتح بيت المقدس: كان موته ﷺ علامةً على فتح البيت المُقَّدس، كما جاء عن عوف بن مالك ﷺ: قال له النبي ﷺ: «اعْدُدْ، سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيتِ الْمَقْدِسِ...»[(٢)]، وكان

(١) أخرجه البخاري، برقم: ٤٤٩٢، ومسلم، برقم: ٥٢٥/ ١٢، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري، برقم: ٣١٧٦.

ذلك في غزوة تبوك شمالَ المدينة باتجاه الشام، وهي آخر غزوات النبي ﷺ ومحطاته في استراتيجيته لفتح بيت المقدس، ومن جملة خُطط النبي ﷺ وتوجيهاته لتهيئة الظروف، وتمهيدِ الطريق لتحرير وفتح الأرض المقدسة، وقوله صراحة: «مَوْتِي، ثُمَّ فَتحُ بَيتِ المقدِسِ»، فيه نِذارة بموته، يعقُبها بِشارةُ فتح بيت المقدس، وكل ذلك كان على مشارف الأرض المباركة هناك في تبوك، فكان بعد -وبزمن قليل- ما أخبر به ﷺ بفتح عمر بن الخطاب لها عام ١٥ للهجرة.

٤- فساد أهلها علامة على فساد غيرهم من المسلمين: يا له من مؤشِّر خطير وفريد من نوعه لم يأت في الشريعة مثلُه، فسادُهم أو صلاحهم علامة على ما عند سائر الأمة من فساد أو صلاح !!! نعم، هو كذلك وبنصٍّ صحيحٍ صريحٍ، أخبر عنه النبي ﷺ فقال: «إِذا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»[1]، ومعنى ذلك نفي الخَيرية عن أهل الإسلام عند فساد أهل الشام، ومن فسادهم تركُ الجهاد.

فقد أدرك الأعداء أن الشام ميزان الأمة، وقلبها النابض، ودِرعها الحصين، وأن الفساد إذا عمَّ الشام، فَشَى وانتشر في سائر الأوطان وبلاد الإسلام، فعمِلوا ليلًا ونهارًا سرًّا وجهارًا على تمزيق هذا الجسد، وتفكيك مفاصله، لكنهم غفَلوا عن أن الطائفة المنصورة لهم بالمرصاد؛ تُصلح ما أفسدوا، وتبني ما هدموا.

٥- وأما عُمران بيت المقدس بالبنيان والرجال والمال فقد جُعل علامةً

(١) أخرجه أحمد، برقم: ١٥٥٩٦، ١٥٥٩٧، والترمذي، برقم: ٢٣٣٧، وابن حبان، برقم: ٧٣٠٢، ٧٣٠٣، من حديث قرة بن إياس، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

على خراب يثرب، وهِجرانِها آخر الزمان، وهو ما أخبر به مُعلِّم أهل فلسطين القرآنَ[١]، وأَحَدُ شُهُود فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب؛ هو الصحابي الجليل معاذُ بن جبل ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «عُمْرانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»[٢]. هذا الحديث المبارك يستعرض جملةً من أشراط الساعة في آخر الزمان، ويحدِّد فيها مراحل تتعاقب فيها الأحداث دون غياب لبيت المقدس عن المشهد!.

٦- مُجْريات أحداثِ وعدِ الأولى والآخرة على أرضها: وهي من أخطر الأحداث، منها ما وقع والأخرى ستقع في فلسطين، ونعيش زمان بعضٍ منها -واللَّه أعلم- وجعلها اللَّه علامةً على فساد وعلوِّ اليهود فيها حينما تخلَّت الأمة المسلمة عن منهج ربِّها، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وأيًّا كان زمن الفسادَيْن، ومهما كثُرت أقوال المفسرين فيه؛ إلا أن كُلًّا من الإفسادين والعُلوَّيْن ودَحْرُهما؛ مَحلُّه الأرض المقدسة في غالب أقوال المفسرين.

٧- وفيها يتم اجتثاث اليهود كُليًّا: في آخر الزمان، وهذا دليل على أنهم شرُّ خلق اللَّه، فجُعلت فلسطين مكانًا وعُنوانًا يجتمعون فيه بقدر اللَّه آخر الزمان للخلاص الكُلِّي والأبدي منهم، وأن كل مخلوقات اللَّه بما فيها الشجر والحجر والدواب تُبغِض هذا النوع من البشر، تَتَقزَّزُ منهم، وتَشِي

(١) انظر: التاريخ الأوسط للبخاري ١/ ٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٥٧، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٧/ ١٣٧.

(٢) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٠٢٣، وأبو داود، برقم: ٤٢٩٤. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم: ٥٤٢٤.

بهم، فعن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ»(١)، وعنه: «تُقاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ»(٢)، وفي رواية: «فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنطَقَ اللَّهُ ذلكَ الشَّيءَ، لَا حَجَرَ، ولا شَجَرَ، ولا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ»(٣)، «فَيَقولُ الحَجَرُ أَو الشَّجَرُ -وفي رواية: المَدَرُ(٤)- يَا مُسلِمُ، يا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغَرْقَدَ؛ فإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ»(٥). إنه الغضب الإلهي الذي يُحَوِّلُ اللَّه به كل شيء حليفًا للمسلمين يُلاحِق اليهود آخر الزمان من كل مكان واتجاه، ومن كل مخلوق حيٍّ أو جماد نقمةً على اليهود وثأرًا منهم، ولفظًا ورفضًا لهم، فلن يبقى لهم بعدها نصيرٌ ولا حليفٌ، بل يُنطق اللَّه كلَّ شيء فيها على الحقيقة ويَسمع ذلك كل مؤمن؛ ليكشف اللَّه سرَّ يهود، ويفضح أمرهم، حتى تُستأصل كليًّا على الأرض المقدسة شَأْفَتُهم.

٨- وعلى أرضها عيسى عليه السلام يَقضي على رَمزِ اليهود: كما أن القضاء على اليهود يكون في فلسطين كذا يكون القضاء على المسيح الدجال رمزِهم فيها أيضًا، ولن يكون بعدها أبدًا لليهود فيها نبض ولا اسم ولا رسم، فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنْ يَخرجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ

(١) أخرجه مسلم، برقم: ٢٩٢٢.

(٢) أخرجه البخاري، برقم: ٣٥٩٣، ومسلم، برقم: ٢٩٢١/ ٨١ من حديث عبد اللَّه بن عمر.

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم: ٤٠٧٧، من حديث أبي أمامة الباهلي.

(٤) أخرجه الحاكم، برقم: ٨٨٣٧ من حديث حذيفة بن أَسِيدٍ، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه البخاري، برقم: ٢٩٢٦، ومسلم، برقم: ٢٩٢٢، بهذا اللفظ.

كَفَيْتُكُمُوهُ، وإِنْ يَخرجْ بَعْدي؛ فإنَّ ربَّكُم لَيس بِأَعَورَ، إِنَّهُ يَخْرُجُ في يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، حتَّى يَأْتِيَ المَدِينَةَ، فَيَنْزِلَ نَاحِيَتها، وَلَهَا يومَئذٍ سَبْعَةُ أَبْوابٍ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكانِ فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا، حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى، فَيَقتُلَهُ. . .»[1]. حديث عجيب يضع النِّقاط على الحروف، يحدِّد القاتل والمقتول والمكان بشكل دقيق، فهي مدينة «اللُّد» المعروفة تاريخيًّا، والموجودة في الشمال الفلسطيني المحتل، ويطلق عليها اليهود: «لُود»، والتي لا زالت تحتفظ بذات الاسم الأول الذي عرفه النبي ﷺ.

٩- تكون فيها آخر خلافة على منهاج النبوة: وهي من أحداث آخر الزمان، وقد جاء في الحديث أعلاه أنها المرحلة الخامسة والأخيرة من عُمر أمة الإسلام، لكن ما الدليل أنها تكون في الأرض المقدسة؟ نعم، إنه عين ما أخبر به النبي ﷺ للصحابي الجليل عبد اللَّهِ بنِ حَوالَةَ الأَزدِيِّ رضي الله عنه: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[2]. فها هي الخلافة ستعود إليها من جديد، وهو تحوُّل القيادة والرياسة وانتقالها إليها، حتى تُختم آخر أيام الدنيا بها وفيها، ولن يكون بعد ذلك لا مُلك ولا حكم سياسي في الأرض.

١٠- وهي بوابة الدنيا ومحطتها إلى السماء: فيها يُجمع الناس، ويحشرون آخر الزمان، راغبين وراهبين، ماشين وراكبين، كما جاء في

(١) أخرجه أحمد، برقم: ٢٤٤٦٧، بهذا اللفظ، وابن حبان، برقم: ٦٨٢٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨: رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي هو ثقة.

(٢) أخرجه أحمد، برقم: ٢٢٤٨٧، وأبو داود، برقم: ٢٥٣٥، والحاكم، برقم: ٨٥٢٩، وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم: ٢٢٨٦.

حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الشَّامُ أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ»[١]، وفي رواية: «أَفْتِنَا فِي بَيْتِ المَقْدِسِ؟ قال: «أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ»[٢].

فلسطين هي المكان والزمان الآخِر الذي تُحشدُ إليها الأمَّة وتُجمع، ليكون فيها آخر أيام الدنيا ولحظاتها، بعد سلسلة من الأحداث العظام الجِسام التي تسوق الخلق إلى الشام، يُنشَرون من قبورهم بعد إحيائهم، ثم يُساقون إلى فلسطين، وهي آخر محطات البشر على الأرض، ومَجْمَعُهم فيها للحساب، ومنها إلى عَرَصات الآخرة.

بعد إلقاء الضوء على بعض المحطات المكانية والزمانية لمكانة «الأرض المقدسة»، أو كما سمَّاها اللَّه في مواطن أخرى بـ «الأرض المباركة»، أو كما عُرف اسمها التاريخي بـ «فلسطين»؛ أدركنا أن شأنها عظيم عند اللَّه ﷻ، فاستحقَّت بركة اللَّه وقَداسته، فتعظيمها عقيدة، والعمل لأجلها شريعة.

لهذا كانت عُنوان الحق ومؤشره، وحلبة الصراع بين الحق والباطل، وكانت -ولا زالت- نبض الأمة ومقياس ما عندها من إيمان، وغير ذلك الكثير الكثير مما لا تتسع له رسالة مختصرة كهذه، لكن حَنَانَيْك هي إشارات وَوَمَضات نلفِت الانتباهَ إليها.

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار، برقم: ٣٩٦٥، وأبو الحسن الربعي في فضائل الشام، برقم: ١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: ٧٣٢٦.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في المسند، برقم: ٢٢١١، وابن ماجه، برقم: ١٤٠٧، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، برقم: ٣٤٤٨ من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ.

فلسطين اختبار لهم وابتلاء للعالمين:

ومن الخصائص التي اختصَّ اللَّه تعالى بها الأرض المقدسة ومسجدها: أنها مؤشر من المؤشرات التي بيَّن بها اللَّه تعالى مدى طاعة العباد وتسليمَهم لأوامره جلَّ في علاه.

فقد كانت -ولا زالت- معيارًا يبيِّن به اللَّه ما عند العباد إلى قيام الساعة من طاعة وإذعانٍ لربِّ العالمين، فكانت الأرض المقدسة ومسجدها محطة اختبارٍ للمسلمين والكافرين على حدٍّ سواء، فقد خلَّدت اسم كل من نصرها وناصرها، وحطَّت من قَدْرِ كل من تآمر عليها وفرَّط فيها، وإليك بعض ما جاء فيها من أحوال اختبر اللَّه بها مدى ما عند الناس من التزام بأوامره سبحانه، منها:

١) **تحويل القبلة عن بيت المقدس**: فقد جعل اللَّه تعالى منه اختبارًا يختبر الناسَ به؛ فلما كان بيت المقدس قبلة ثم حُولت، كانت سببًا في سقوط كثير من الناس، فالعرب كانت تحُجَّ البيتَ، ولم تألف بيت المقدس، فامتحنهم بغير ما ألِفوه، ليَظهر من يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فاختاره اللَّه تعالى قبلةً ليتألَّف يهود، لكنه أمر نبيه أن يتحوَّل عنها إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، فأبَوْا فسقطوا جميعًا في الاختبار، وبقيت قِبلَتُه محل اختبار وابتلاء للآخرين، كما أخبر ربِّي جلَّ في علاه عن ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، لما أمر اللَّه تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ أن يصلي إلى بيت المقدس، فصلى إليه ستة عشر شهرًا، فلم يتَّبعوه، ثم صرفه

اللَّه ﷻ إلى البيت الحرام، لِيَعْلَمَ الرسُولُ وحِزْبُه وَأَوْلِيَاؤه مَنْ يَتَّبعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ، فكانت محنةً واختبارًا للمسلمين واليهود والمشركين جميعًا.

- أما المسلمون: فقد ارْتدَّ بعضهم عن الدين، ومنهم من ارْتدَّ إِلَى اليَهُودِيَّة ممن كان قد أسلمَ واتَّبع رسول اللَّه ﷺ، وأظهرَ كثيرٌ من المنافقين من أجل ذلك نفاقَهم، وقالوا: ما بَالُ محمدٍ يحوِّلنا مرةً إلى هاهنا ومرةً إلى هاهنا! وقال بعض المسلمين فيمن مضى من إخوانهم ممن ماتوا وكانوا يصلُّون نحو بيت المقدس: بَطَلَتْ أعمالُنا وأعمالُهم وضاعت!.

- وأما اليهود: فقالت للنبي ﷺ: إن كنت نبيًّا كما تزعم، فإن الأنبياء والرسل كانت قِبلتهم نحو بيت المقدس، فإن صلَّيت إلى بيت المقدس اتبعناك، فابتلاهم اللَّه بذلك.

- وأما المشركون فقالوا: تحيَّر محمدٌ ﷺ في دينه! وترك الكعبة قِبلة آبائه وأجداده.

فكان ذلك فتنةً للناس، وتمحيصًا للمؤمنين، لتمييز الصادق من المارِق والمتَّبع من المنقلب[1].

٢) اختبار الناس برحلة الإسراء والمعراج: قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٩ -٦٠]. والمقصود: هو مَا أَرَاهُ اللَّهُ تعالى لنبيِّه محمد ﷺ لَيْلَةَ

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/ ١٥٦.

أُسْرِيَ بِهِ، وَلَيْسَ بِرُؤْيَا الْمَنَامِ، وَلَكِنِ الْمُعَايَنَةُ الحقيقيةُ. قال عَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره: رُؤْيَا عَيْنٍ رَآهَا لَيْلَةَ أَرَاهُ اللَّهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَيْثُ أُسْرِيَ بِهِ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لِلْكُفَّارِ[١]. وجاء في أنها رُؤيَا بيت المقدس حين أسْرِيَ به، وذلك أنه ارتدَّ بعضهم حين أعْلَمهم قصة الإسراء به، وبذلك ازداد المؤمنون المخلصون إيمانًا[٢]، ولو لم يخبر النبيُّ عن رحلته وكتمها لمَا كان التمحيص والاختبار.

لا شك أن النبي ﷺ هو من بادر الناسَ بالتحديث عمَّا جرى له في جزء من ليلته تلك التي ارتحل بها من مكة إلى فلسطين، ثم إلى السماء، ثم رجع في نفس خط السير الذي جاء منه، كما أنه لم تنقُل لنا الآثارُ أن أحدًا افتقد النبي ﷺ فلم يجده في بيته أو على فراشه، فيكون بذلك خرج النبي ﷺ من غير أن يشعر به أحد، لذا بدأ النبي ﷺ بعد عودته من هذه الرحلة المعجزة يحدِّث الناس عنها، فعن مالك بن صَعْصَعَة: «أن نبيَّ اللَّه ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسري به»[٣]، لكن بعد إخبار النبي ﷺ لهم اضطرب الناس بين مصدِّق ومكذِّب أو مذهول من شدة هَول الخبر على إدراكهم البشري المتواضع أمام عظيم خلق اللَّه تعالى، غير أن المؤمن منهم كان يعلم صدق كل ما يأتي به النبي محمد ﷺ من غير أدنى شكٍّ، وعلى رأس من أذْعَن وصدَّق بخبر النبي الصحابيُّ الجليل أبو بكر، كما رَوَتْ ابنته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى؛ أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا:

(١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٠٢.
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/ ٢٨٤.
(٣) أخرجه البخاري، برقم: ٣٣٩٣.

هَلْ لَكَ إلى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ: الصِّدِّيقَ»[(١)].

٣) اختبار النبي محمد ﷺ في المسجد الأقصى: حتى النبي محمد ﷺ وقع عليه الاختبار في المسجد الأقصى يوم أُسريَ به، فقُدِّم له عند دخوله المسجد لبنٌ وخمرٌ، فاختار من فَوْره اللبن علامةَ الفطرة وشعارها، كما جاء ذلك عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي . . . ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ؛ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وفي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَو أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»[(٢)]، وفي رواية: «فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ»[(٣)]، فكانت الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى ميدان اختبار للنبي ﷺ.

٤) اختبار بني إسرائيل بالأمر بدخول الأرض المقدسة: قال اللَّه تعالى عن حال موسى عليه السلام لـمَّا أمر بني إسرائيل بأمر اللَّه أن يدخلوا الأرض المقدسة: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، برقم: ٦٩، والحاكم، برقم: ٤٤٦١، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٦٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: ٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري، برقم: ٣٣٩٤، ومسلم، برقم: ١٦٨/ ٢٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، عن أبي هريرة، برقم: ٤٧٠٩، ومسلم، برقم: ١٦٨/ ٩٢.

فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾.

فعاجلوه بالرد: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢١-٢٤]. فبعد أن اختار اللَّه لهم أفضل البلاد بركةً وقدسيةً، وهي فلسطين، بعد أن أخرجهم من مصر، امتنعوا من دخولها، فما كان منه سبحانه إلا أن عاقبهم بالتِّيه أربعين سنةً، فهلك منهم من هلك هناك في التِّيه حتى خرج من ذُريتهم من سار مع يُوشَع بن نُون عليه السلام بعد وفاة هارون وموسى بن عمران، فأسكنهم الأرض المقدسة، وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم.

فكانت الأرض المقدسة ومشروع تحريرها محطةً من محطات الاختبار لبني إسرائيل؛ بامتناعهم عن جهاد الجبابرة مع موسى عليه السلام.

وها هي فلسطين اليوم كلها كاشفة فاضحة، ومحل اختبار للناس تَعْرِفُ من حالهم معها في نصرتها أو دعمها؛ مدى ولائهم لهذا الدين، وبرائهم من الكافرين والمنافقين.

وها نحن اليوم نرى من المنتكسين المُهَرولين للتطبيع مع العدو الصهيوني، متغافلين عن كل القيم والمبادئ الشرعية من ولاءٍ وبراءٍ، ليَرْتمي بعضهم في أحضان من يحسِب أن الخلاص عندهم، يُطالِعنا هؤلاء المنتكسون بمشاهد يتفاخرون فيها بالعلاقات الحميمية مع الصهاينة قتلةِ الأنبياء، ويُنادون بالسلام الدائم معهم، والتهوين من خطرهم، وحقِّهم في العيش على أرض فلسطين، وتَقاسُمِ خيراتها، يبيعون دينهم بعرض من

الدنيا قليل، غافلين عن قول ربنا جلَّ في علاه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

السبيل إلى نصرة الأرض المقدسة:

أُجْمِله في أمرين رئيسين، ولك بعدها أن تَسْبَح في خيال لا أُفق له، فالناس متفاوتون في إمكاناتهم وفرصهم، ولن يَعدم أحد منهم السبيل إلى نُصرة الأرض المقدسة.

لستُ بصدد الحديث عن البرامج والمناشط التي يمكن أن يقوم بها كل محبٍّ لفلسطين، لكن أشير إلى أن كل البرامج تنطلق من فكرتين أساسيتين، وهما: (تَنْظِيرية وتَأْطِيرية):

١- تنظيرية: تكونُ بها ملهِمًا للآخرين، من خلال التأليف بأنواعه، كتأليف الكتب أو إلقاء المحاضرات، أو كتابة النصوص «السيناريوهات»، أو التدريب بأنواعه، كلُّ ذلك يُقدِّم رؤيةً ومادةً فكريةً يستعين بها ويستفيد منها كلُّ محبٍّ وناشطٍ للعمل لفلسطين، من كل ما سبق نسعى إلى بثِّ المعلومة التي قد تكون أحيانًا معلومةً مجردةً عن فلسطين حُبست عن الناس، أو ردًّا على شبهة أو أُكذوبةٍ مضلِّلة أشاعَها يهود.

٢- تَأْطيرية: صناعة المنابر والأوعية التي تُنظِّم البرامج وتحشِد الجماهير كمراكز الدراسات، واللِّجان، والجمعيات، والهيئات، والاتحادات، والنقابات، وكل أنواع التحالفات والتجمعات، لتكون بمثابة مؤسسات عاملة بدَيْمُومة ووعي للقضية الفلسطينية.

وأخيرًا . . .

وفي نهاية المطاف آمُلُ من اللَّه جلَّ في علاه أن أكونَ قد وُفِّقت في رسم معالم الطائفة المنصورة في الأرض المقدسة وسِماتها، وما عليها من واجبات، وكيف ينبغي لها أن تكون، وما هي مساراتها وأولوياتها في مسيرة المعارك بأنواعها، فضلًا عن المعركة المصيرية الأخيرة والحاسمة.

والحمد للَّه رب العالمين ، ، ،

